Coptology

قراءة في نتاج ما حدث

(١)

الهوية البيولوجية، والهوية الكنسية

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

الهوية البيولوجية، والهوية الكنسية

امتدت نار الشغب إلى كل ما يمس ما اصطُلِحَ عليه باسم "العقيدة"، وخلق الأنبا شنودة الثالث في فترةٍ طالت حتى بلغت أكثر من أربعين عامًا شيعةً تتبعه وحده، واتُّهِمَ كل من كان له باعٌ في التعليم والنشر، بأنه يعلِّم وينشر تعليمه الخاص، وخير مثال على ذلك "تعليم أبونا متى المسكين"، وتلاه "تعليم جورج بباوي". وقد أدخل الأنبا شنودة الثالث هذا التقسيم في الحياة الفكرية لكي يخلق في الأذهان وهمًا بأن مَن لا يقول مثلما كان هو يقول، أو يكتب مثلما كان هو يكتب، إنما هو هرطوقي ومبتدع. وليس أدل على ذلك من مقالاته في مجلة الكرازة بعنوان "بدع حديثة"، وهي تلك المقالات التي وزَّعت هذه البدع على من أراد تنحيتهم من المشهد، فنال الأب متى منها الكثير، ونال كاتب هذه السطور أيضًا نصيبًا منها شمل أدق عقائد الكنيسة: الشركة في حياة الله، التي وصفها هو بأنها "الشِّرك" الذي يحاربه اخوتنا المسلمون – الفداء والأسرار – سكنى الروح القدس ....إلخ

ولما تعذَّر عليه محاكمتي ومحاكمة الأب متى المسكين، أطلق يد مطرانه سكرتير المجمع، الأنبا بيشوي ليجمع توقيعات بتحريم التعليم بالشركة في الطبيعة الإلهية، فضلاً عما عاثه من إفساد لقضية التعليم في الكنيسة.

تلك كانت مقدمة ضرورية لتوضيح كيف حاول الأنبا شنودة الثالث، ومن سار في ركبه رسم حدودٍ جديدةٍ للانتماء الكنسي بخلق هوية قبطية بديلة للهوية الأبدية التي تعطى في المعمودية والمسحة المقدسة وشركة جسد الرب ودمه. فأشاع –عن غير حق– أن التبني دعوةٌ شرفية، وقال إن البنوة كانت معروفةً في العهد القديم، وبالتالي لا فرق بين العهدين، وبذلك ودون أن يعي، أعاد تقسيم البشر حسب الجسد، تاركًا التحديد

الرسولي الذي يقرر أننا جميعًا من واحد هو آدم وأنه كما في آدم الجميع تحت حكم الموت، وأن الجميع سيُحيون في المسيح (١كور ١٥: ٢٢).

هكذا صارت هوية الانتماء للكنيسة هويةً ثقافية تنحصر في التبعية للأنبا شنودة الثالث. نقول هويةً ثقافيةً بمعنى أنها من نسج الثقافة الشعبية السائدة، وليست هوية الانتماء إلى جسد المسيح الكنيسة، هذا الجسد الذي لا يعرف قادةً أو معلمين، بل يعرف واهب الحياة يسوع المسيح. هكذا سقطت العضوية في جسد المسيح (١كور ١٢: ١٢ وما بعدها)، وساد التشيُّع وغلب التكوين البيولوجي على أبدية النعمة، فخرج من تحت ركام العهد القديم الادعاء بأن شريعة التطهير واجبة على أعضاء جسد الرب يسوع، الكنيسة، وأمعن أنصار هذا الادعاء في اختلاق تبريرات تبيد المعمودية والميرون، بعد أن صدقوا أن المياه تقدس، وأن الإفرازات الجسدية تمنع من شركة الأسرار، فهجروا التسليم الرسولي ودخلوا عصر "فقه قبطي" تحكمه النصوص والشرائع القديمة، وتركوا الطريق الإلهي، أي يسوع المسيح نفسه، فأصبحوا أسرى الكلمات.

وما كان أغناهم عن ذلك إن أدركوا أن العلاقة في الهوية الكنسية تشرح كل النصوص، وأن النصوص لا تؤسس للعلاقة؛ لأن الإيمان بالكلمة المتجسد ليس إيمانًا بفكرةٍ تؤيدها الكلمات، مهما كان مصدرها، بل إيمانٌ باستعلان الألوهة في الجسد الإنساني الذي أخذه الرب من والدة الإله، وهو استعلان الأقنوم الثاني الذي رأينا فيه الآب، ومنه قبلنا الروح القدس.

في بداية هجوم شيعة الأنبا شنودة على الروح القدس وحصاره في المواهب والطاقة، دُهشتُ لجسارة وحماقة هذا الهجوم، ولكن أثبت الحوار فيما بعد أن هؤلاء لا يعرفون شيئًا عن الثالوث، وأن الثالوث ليس في فكرهم ولا في إيمانهم باعتبار أن الثالوث لديهم "صفات إلهية"، لا أقانيم، وكأن المسيح الرب أعلن لنا صفة الأبوة وليس أقنوم الآب، وهو ما ينفي كل أقوال الرب في إنجيل يوحنا بالذات، ناهيك عن رسائل بولس الرسول. الرب قال: "من رآني فقد رأى الآب"، ولم يقل الرب من شاهد صفة البنوة فقد

عاين صفة الأبوة.

هكذا، عندما تحولت الأقانيم إلى صفات، هُدِمَت العلاقة الشخصية بالأقانيم.

هل من رجاء أبدي في أدبيات مدرسة الفصل والتقسيم؟

عندما امتد خط الفصل والتقسيم بين الرأس الواحد للجسد الواحد، بين يسوع والكنيسة جسده، نشأ ما يسمى بنظرية الأجساد الثلاثة، وهكذا توزَّع المسيحُ إلى جسدٍ من والدة الإله (جسده الذاتي)، وجسده في الإفخارستيا، والكنيسة جسده. وهكذا ضاع من هؤلاء أن المسيح نفسه جاء لكي يجمع المتفرقين إلى واحد (يو ١٠: ٥٢). وهكذا ضاع الرجاء الأبدي في القيامة المجيدة التي نصبح فيها خالدين بذات مجد المسيح يسوع (فيلبي ٣: ٢١)، بل تطاولت الأقلام على مجد الرب نفسه الذي كان له قبل خلق العالم (يو ١٧: ١ – ٣)، فأصبح مجدًا مخلوقًا، وبالتالي أصبح الخلود في السماء خلودًا مخلوقًا. وهكذا ضاع الرجاء الأبدي لأن صورة الحياة السمائية أصبحت عند هؤلاء صورةً أرضيةً، فمنع أن نكون مثله عندما نراه، وهو الوعد الذي كشفه لنا الرسول: (١ يو ٣: ٣).

"الأنا" قولٌ وحياة

"أنا هو" عبار الرب يسوع، وهي تعني –كما شرح الرسولي الإيمان– أن "أنا الإنسانية" تعبيرٌ عن صورة الله؛ لأنها صورة الله الكائن الذي أعطى الإنسان كينونةً (تجسد الكلمة ف ٤: ٥). فالإنسان في المسيح حسب تجسد الرب، ليس هو الإنسان حسب آدم الأول؛ لأن آدم الأخير، أو آدم الثاني، جاء بما هو أعظم، وهو تحول الكيان الإنساني إلى كيان سمائي روحاني خالد أسهب في تقديمه رسول الرب في (١كور ١٥: ٤٢ – ٥٠). هنا "العضوية الجمعية"، لا الانتماء لأن الانتماء كلمة ضعيفة جدًا، هي التي تجمع كل المؤمنين في واحد هو ربنا يسوع (عب ٢: ١١).

نشكر الله وحده لأن الخوف والتردد لم يكن لهما فينا موضع، فنشرنا كتابين ردًا على مقالات قداسته التي جمعها في كتاب "بدع حديثة"، وكان لمشروع النشر أن يستمر لولا ما قاله الأب متى المسكين من أن هذه الردود سوف تزيد التطرف، لأن "العند يورث الكفر" كما يقول المثل الشعبي، وأن إغلاق الملف كله هو الواجب الذي تمليه الوداعة.

ولولا تطاول جماعات التشـــويش الذي لطَّخ شـــبكات الانترنت، ولولا وقوفهم خلف الميكروفونات، يحاولون بها كتابة تاريخ سنوات مضت، لما كان لهؤلاء وجود في عالم الإنســـان، بل كانوا في علم الله. وقد غاب عن هؤلاء أن عرض التاريخ يحتاج إلى وثائق، وشهادة شهود مدونة، أو جُمعت بعد وفاتهم، وأنهم لم يكن لهم وجود عندما دخل الأب متى الحياة الرهبانية، وعلى أحســـن حال كانوا ما يزالوا أطفالاً. التاريخ وثائق لا مرويات؛ لأن المرويات مهما كانت، ليست حكماً، بل هي وجهة نظر تحتمل الصواب كما تحتمل الخطأ.

إذن، فقد تمثل ضرب الهوية الكنسية في تقسيم أبناء الله إلى جماعات، وفي إبادة الهوية الإلهية التي أُعطيت لنا في المعمودية، فصـار الانتماء إلى معلم يفوق الانتماء إلى الله الذي منه ولدنا ميلادًا جديدًا (يو ١: ١٢ – ١٣)، ونحن لا نولد من صفة اسمها الآب، بل من أقنوم الآب نفسه. كما أن "وحدانية الروح التي للتقوى"، هي الوحدانية التي تجمعنا معًا في سـر الإفخارسـتيا، ليس لواحدٍ من ثلاثة أجسـاد متفرقة، بل للرب الواحد يسـوع المسيح.

+ + +